معارف
ISSN 1112-7007
EISSN 6804 -2600
المجلد 16/ العدد 2 (ديسمبر 2021): ص.ص: 754-773

الفونتيك والفنولوجيا بين المدارس الأوربية والأمريكية

Phonetic and Phonology between European and American schools

د. يمينة مصطفاي*

كلية الآداب واللغات، جامعة البويرة، الجزائر، y.mostfai@univ-bouira.dz

تاريخ الاستلام: 2021/08/03؛ تاريخ القبول: 19/ 2021/10؛ تاريخ النشر:2021/12/31

ملخص:

ظهر في الدّراسات الصّوتية العربية مصطلحان اثنان: الفونتيك والفنولوجيا، وعرف كلاهما مقابلات مختلفة،أشهرها علم الأصوات العام وعلم الأصوات المجردة بالنسبة للأول، ونجد علم الأصوات الوظيفي أو الصّوتيات الوظيفية، وعلم التشكيل الصوتي وعلم وظائف الأصوات وعلم النّظم الصوتية وغيرها بالنّسبة للثاني.

ويعود هذا الاختلاف في التسميات الاصطلاحية المختلفة لاختلاف وجهة نظر العلماء إليها؛ بداية من دي سوسير إلى براغ والمدارس الفرنسية والأمريكية وغيرها، ولعلّنا قد لاحظنا اختلافها في توظيفها ومفهومها أيضا، وهذا كلّه يجب مراعاته في استعمال وتوظيف هذين المصطلحين في الدّراسات والأبحاث العربية.

كلمات مفتاحية: الفونتيك؛ الفنولوجيا؛ المدارس الصوتية؛ علم الأصوات العام؛ علم الأصوات الوظيفي.

Abstract:

Two terms appeared in Arabic phonetic studies: Phonetic and phonology and they both defined different terms. The most famous of which are general phonology and abstract phonology for the first.and we find functional phonology or functional phonetics, and the science

* المؤلف المرسل.

of phonetic formation and the science of sound systems and others for the second.

This difference in the different terms is due to the different viewpoints of scholars starting from de Saussure to Prague and the French and American schools and others.

Keywords: Phonetic; phonology; phonetic schools; general phonology; functional phonology.

المقدمة:

ظهر في علم الأصوات العربي مصطلحان اثنان: الفونتيك، والفنولوجيا، وعرف كلاهما مقابلات مختلفة، أشهرها علم الأصوات العام وعلم الأصوات المجردة بالنسبة للأول، ونجد علم الأصوات الوظيفي أو الصّوتيات الوظيفية، وعلم الأصوات التنظيمي أو التشكيلي وعلم التشكيل الصوتي وعلم وظائف الأصوات وعلم النظم الصوتية وعلم الأصوات اللغوية الوظيفي وغيرها بالنسبة للثاني .

فلماذا هذه الاختلافات بين العلماء في ترجمتهما ونقل مفهومهما للّغة العربية، هل يعود هذا لاختلاف أنظمة اللّغات المدروسة؟ أم لاختلاف المصادر والأصول التي نقل عنها العلماء العرب؟

هذه الأسئلة وغيرها سنحاول الإجابة عليها من خلال رصد وتتبع هذين المصطلحين في المدارس الغربية المختلفة بعرض ظهورهما واستعمالهما قبل وبعد دي سوسير، في كل المدارس الأوربية والأمريكية في العصر الحديث.

2. المدارس الصوتية الغربية:

1.2.مدرسة قازان:

رائدا هذه المدرسة هما "جان بودوان دي كورتناي" (1845-1929) ونيكولاي كروسفسكي (1851-1887). و"تلتقي جلّ أعمالهما فيما يمكن تسميته بالدّراسات اللّسانية الحديثة للفونيم، تلك الدّراسة التي كانت بدايتها الأولى على أيديهما، إذ يرجع الفضل إلى بودوان دي كورتناي في اكتشاف الطّبيعة اللّغوية للفونيم، ويعدّ تلميذه كروسفسكي أول من استعمل مصطلح فونيم من أجل تعيين الوحدة الصّوتية غير

القابلة للتجزئة، في مقابل الصّوت الإنساني الذي يمكننا تحليل خصوصياته المتعلق بنطقه لدى شخص ما"[1].

وتجدر الإشارة إلى أنّ دي كورتناي أول من نصّ على ضرورة وجود فرعين مستقلّين من العلوم لدراسة جانبي الأصوات... ولقد أعلن هذا الباحث أن هناك فروقا جذرية بين أصوات الكلام speech sounds، والصور الذهنية للأصوات phonetic images التي تتألف منها كلمات اللغة، وانطلاقا من هذا الإدراك أصر كورتناي على ضرورة وجود نظامين من البحث الصوتي لتناول الأصوات بطريقة علمية أحد هذين النظامين أو العلمين ينبني على أسس فيزيائية وفسيولوجية، وموضوع البحث فيه الأصوات المادية، وثانيهما يعتمد على قواعد علم النفس ووظيفته دراسة الصور الذهنية للأصوات ومالها من وظائف وقيم في اللغة، وقد سمّى كورتناي العلم الأول الذي خصّصه لدراسة الأصوات الماديّة بعلم الأصوات العضوي physio-phonetics في حين أطلق على الثاني المصطلح علم الأصوات النفسي psycho phoni وقصر عمله على دراسة الصّور الذهنية للأصوات، تلك الصّور التي أطلق عليها هذا العالم نفسه اسم "الفونيم" "..."[2].

ورغم وجود شيء من التقارب بين دي سوسير و"دي كورتناي" حول بعض الملاحظات والأفكار اللّسانية، مثل مفهوم الفونيم ومفهوم النّظام، إلاّ أنّ ما جاء به دي سوسير في لسانياته يبدو أعمق وأبعد ممّا توصّل إليه "بودوان" ويمكن القول –بشكل أدق- إنّ هذا الأخير لم يستطع أن يخرج بموقف نظري ثابت بسبب تيارات عصره العقائدية والنفسية والاجتماعية التي تجاذبته. ومع ذلك فإنّ ما جاء به "بودوان وكروسفسكي" من أفكار لسانية تعطي لهما مكانتهما في تاريخ الدّراسة اللّسانية والملاحظات القيّمة التي تحتلّ واجهة هذه الدراسة في علم اللسان الحديث، وتظلّ أفكارهما رائدة اللسانيات النبوية خصوصا في مجال دراسة الفونيم.

2.2. فرديناند دي سوسير:

(1) - الطيب دبة، مبادئ اللسانيات النبوية، دراسة تحليلية ابستمولوجية، دط، المطبوعات الجامعية، الأغواط، 2004، ص133.

(2) - كمال بشر، علم الأصوات، دط، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2000، ص73، 74.

يمكن القول إنّ دي سوسير قد أسهم في التّأسيس للدّرس الصّوتي الحديث بفضل أفكاره في مجال اللّسانيات البنوية، ومن هذه المفاهيم التي استفاد منها الفنولوجيون بعده نذكر اللغة والكلام والنظام، التقابل والاختلاف، الاستبدال والتركيب، الاعتباطية والخطية وغيرها.

وقد ميّز دي سوسير تمييزا خاصا بين الفونتيك والفنولوجيا وأطلق الفونتيك على العلم التاريخي الذي يحلل الأحداث والتغيرات وهو مرتبط بالزمن، بينما الفنولوجيا بعيدة عن العامل الزمني لأنها تهتم بما هو قار، تهتم بالجهاز النطقي وآليّة النطق أي الناحية الفيزيولوجية للأصوات، يقول:

«La physiologie des sons (…) est souvent appelé «phonétique » (…) ce terme nous semble impropre, nous le remplacerons par celui de phonologie, car phonétique a d'abord désigné et doit continuer à désigner l'étude des évolutions des sons (…) La phonétique est une science historique, elle analyse les évènements, des transformation et se meut dans le temps, la phonologie est une dehors du temps, puisque le mécanisme de l'articulation reste toujours semblable a lui-même (…) la phonologie ne relève que de <u>la parole</u> »[(1)].

"فالفونتيك عنده علم تاريخي، أي يبحث في تطوّر الأصوات لأنه خصّص في بداية الأمر لهذا النوع من الدّراسة، وهو فرع أساسي من علم اللغة Linguistics، أما الفنولوجيا: فيدرس الأصوات من الناحية العضوية أو ميكانيكية النطق، وهو نظام من الدراسة مساعد لعلم اللغة ومقصور قصرا تاما على الكلام speech .أي عكس ما سيظهر لاحقا في المدارس الأخرى.

وقد توسّع دي سوسير في مفهوم الفنولوجيا كثيرا خاصة من الناحية التطبيقية ولم يقصرها على المفهوم النظري الضيّق، وكأنه استدرك مفهومي المصطلحين فونتيك وفنولوجيا ووجههما الوجهة التي اتفق عليها العلماء بعده.

3.2. مدرسة براغ الوظيفية:

تعد مدرسة "براغ" Prague school (أسست عام 1926) أفضل من يمثل الاتجاه

(1) - Ferdinand De Saussure, cours de linguistique générale, ENAG/ Edition, 1994, 2ème édition.p45

الوظيفي في دراسة اللغة، ويعود إليها الفضل في تأسيس الفنولوجيا بمعناها الحديث، وقد نشأت هذه المدرسة في أحضان حلقة براغ اللسانية prague linguistic circle، التي أسسها اللساني التشيكي "فاليم ماثيوس Vilem Mathesuis (1882-1045)[1]"، وذلك بمساعدة بعض طلابه، ومجموعة من اللسانيين التشيكيين، ب.ترنكا B.tranka وج.فاشك J.Vachek وغيرهما .

فقامت هذه المدرسة على المبادئ والأصول النظرية التي أرسى دعائمها "سوسير"،كما اتّخذت من تصوّر بودوان دي كوتناي للفونيم نظرية كاملة للتحليل الفنولوجي، (...)، وتعد مدرسة براغ مدرسة متخصصة في اللسانيات..ثم انضم إليهما كل من تروبتسكوي ورومان جاكبسون اللذين شاركا في أعمال ما عرف آنذاك بحلقة براغ للسانيات، فكان الأول المفكر المهيمن عليها والثاني محركها الأساسي. وقد وضعا المفهومات الأساسية للتحليل الصّوتي للّغات الأوربية ونشرا جزءا كبيرا من إنتاجهما في الأعداد التسعة الأولى من مجلة "أعمال حلقة براغ اللسانية".كذلك شارك أندري مارتينه وإميل بنفينست في أعمال هذه المدرسة[2].

فكان بذلك بداية بروز هذه المدرسة عندما انضم إليها سنة 1928 ثلاثة لسانيين روس، فرّوا من روسيا خلال الثورة البلشفية وهم: رومان ياكوسين R.Jakobson (1893-1982) ونيكولاي تروبسكوي N.Troubetzkoy (1890-1938) وسيرج كرسفسكي Serge karcevski (1884-1955).

وامتازت هذه المدرسة عن غيرها في كثير من النظرات المميزة في دراسة اللغة، نذكر من ذلك إسهامها في التفريق بين الفنولوجيا والفونتيك انطلاقا من تفريق سوسير بين اللغة والكلام، "فالفونتيك هو علم أصوات الكلام والفنولوجيا علم أصوات اللغة، والأول أقرب إلى علوم الطبيعة منه إلى اللغة، فهو شيء ثانوي وإن كان يساهم في دراسة الأصوات في مستواها الفنولوجي المرتبط بعلوم اللغة، فالفونتيك -إذن- وظيفته دراسة الأصوات المنطوقة بالفعل في الكلام، فينظر في حركات أعضاء النطق وأوضاعها... أما

(1) - محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004، ص70.

(2) - عبد الرحمن حاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، دط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007، ج2، ص240.

الفنولوجيا، فلا يهتم بالأصوات بهذا الوصف، وإنّما عليه دراسة الفونيمات وهي العناصر المكوّنة للمعنى اللّغوي، وهي عناصر غير مادية؛ إنما عناصر عقلية، ويكون تحقيقها المادي بوساطة الصوت الفعلي أو النطق.

وفي مدرسة براغ نجد عددا من رجالها القدماء والمحدثين على حد سواء لايرتضون هذا الفصل التام بين علمي الأصوات، ويؤكّدون شدة ارتباط أحدهما بالآخر، إنه ارتباط متبادل، يصوره واحد من كبار رجال هذه المدرسة وهو "ترنكا" B.tranka الذي قال في هذا الأمر: "عندما تبدأ الدراسة من الصورة الصوتية وتندرج في طريقها حتى تصل إلى القوانين المجرّدة، فإنّها تجد نفسها في مجال الفنولوجيا أما إذا أخذت طريقها –هذه المرة- من القوانين المجردة، وسارت في عملها حتى وصلت إلى الصورة الواقعية للأصوات، فإنها تجد نفسها في مجال الفونتيك... إننا إذا علمنا أن الفونتيك إنما يختلف فقط عن الفنولوجيا في إنتاج طريق مخالف في سير الدراسة .أدركنا أن مشكلة الحدود الفاصلة بين الظواهر الفونتيكية والفنولوجية أصبحت غير ذات موضوع، لأن هذين النوعين من الظواهر متكاملان ومتعاونان في سبيل تحقيق أهدافهما الفردية والاجتماعية"[1].

ويرى تروبتسكوي أن عدم التمييز بين هذين العلمين قد أخّر تطوّرهما كما يشير إلى إطلاقه مصطلح "الفنولوجيا" على "أصوات اللغة" ومصطلح "علم الأصوات" على "أصوات الكلام" لم يكونا قد استعملا بالمعنى نفسه عند جميع الألسنيين.

4.2. المدرسة الفرنسية الوظيفية لاندري مارتيني:

أندري مارتيني هو أحد أبرز مؤسسي اللسانيات البنيوية في أوربا، وقد كان من بين أهمّ إسهاماته في هذا الجانب اللّساني الكبير مفاهيمه ونظريّاته التي أسّس بها اللسانيات الوظيفية على المستوى التركيبي للّغة في عدد من مؤلّفاته: اللسانيات الآنية سنة 1970، مبادئ في اللسانيات العامة 1960، اللّغة والوظيفة سنة 1970، أما أبرز أفكاره فتتجلّى في:

1- وظيفة اللغة: سميت هذه الوظيفة بوظيفة التبليغ والتواصل بين أفراد

(1) - كمال بشر، علم الأصوات، ص76-77.نقلا عن: Josef vachek, the Linguistic school of Prague, p42

المجتمع، وهي موجودة إلى جانب وظائف أخرى "كوظيفة التعبير والوظيفة الجمالية.

2- **مبدأ التّقطيع المزدوج: Double articulation:** المراد به هو ذلك المبدأ الذي يمكّن من تحليل اللغة إلى وحدات محدودة ونهائية في كل لغة وتنقسم إلى:

أ- Les Monémes: يقابل هذا المصطلح في الاستعمال التقليدي Les mots ويسمّى المستوى الّذي تتموقع فيه مستوى "التقطيع الأول.[1].

ب- Les Phonèmes: وتسمّى بالوحدات غير الدّالة، وتظهر على مستوى التقطيع الثاني الذي يتم داخل الوحدات الدالة.

3- **مبدأ الاقتصاد اللغوي:** يقوم هذا المبدأ على أساس العلاقة بين بنية اللغة ووظيفة اللغة، وهو الذي يمكّن وظيفة التّواصل أن تتمّ بأقلّ جهد ذهني وبدني؛ والذي يساعد على تحقيق هذا المبدأ هو مبدأ التقطيع المزدوج الذي يجعل وظيفة التواصل تتسم بواسطة عدد محدود من الفونيمات والمونيمات.

4- **مبادئ التحليل الوظيفي:** ينطلق أندري مارتيني في تحليله لوحدات العبارة من مبدأ التفريق بين وظائفها، وحتى يتمكن من وضع إطار تحليلي نموذجي تخضع له جميع الوحدات على ما يقتضيه نظام بناها التركيبي انتبه إلى ضرورة أخذ مجموعة من المبادئ بعين الاعتبار كتحديد الصلات القائمة بين الوحدات ومعرفة مواضعها والمحتوى الدلالي لها.

5- **المزج:** هو ظاهرة نحوية انتبه إليها مارتيني ووحدها تشكّل صعوبة عند تحرير العبارة إلى مونيمات، فإذا كان المسار الطبيعي للتحليل هو اكتشاف سمات الدّور التّمييزي للمونيم من حيث هو قطعة صوتية دالّة مختلفة فونولوجيا عمّا يمكن أن يكون عليه غيرها، ومتماثلة مع مدلول واحد فقد يحدث أن تكون القطعة الصوتية ممزوجة Analgamé، وذلك عند وجود مدلولين متداخلين في دال واحد مما يعيق عملية التحليل إلى قطع متوالية.

أمّا الغرض من التحليل الفنولوجي "فيكمن في تشخيص العناصر الصوتية

(1) – ينظر: الطيب دبة، مباديء اللسانيات النبوية، ص105 وما بعدها.

وتصنيفها حسب وظيفتها في اللغة"[1]، ويمكن بذلك أن نستخلص مما كتبه أندري مارتيني أنّه اتّجه في بحثه وجهة فنولوجية تعتني بضبط الأصوات العامة.

وأهمّ ما يميّز المدرسة الفرنسية نظرتها إلى الفنولوجيا ومحاولة ربطها بين العلمين من جديد " فإذا كانت مدرسة براغ قد قامت بفصل الصّوتيات الوظيفية phonology عن الصوتيات phonetic ونسبت الأولى إلى العلوم، والثانية إلى الدّراسة الإنسانية، فإن مارتيني ساهم مساهمة فعّالة في إزالة هذا الفصل، وعدّ الفنولوجيا نوعا من الفونتيك الوظيفية functional phonetics"[2].

5.2.المدرسة الانجليزية:

يمثل هذه المدرسة توجهان لسانيان نشآ بشكل مستقل عن اللّسانيات البنويّة، انطلق أحدهما من جهود العالم الصوتي "دانيال جونز D.Jones " وانطلق الآخر من أعمال اللّساني الانجليزي فيرث J.R.Firth (ت1960م).

أما الأول فقد قدّم فيه جونز دراسة للفنولوجيا بطريقة متميزة عن طريقة الفنولوجيين البراغيين فهو يعتمد على منهج الوصف المادي، الذي يهتم في دراسته للفونيم بطبيعته الفيزيائية ويهتم بوظيفته [3]. وقد تأثّر جونز بما جاء به بودوان دي كورتناي ضمن مجال الدّراسة النّفسية للصّوت اللغوي، ينجلي ذلك في تعريفه للفونيم بأنه يمثّل حقيقة ذهنية تتطلب استعمال الحدس والشعور اللّساني ولكن من أجل البحث عن طبيعة الفونيم وماهيّته لا عن وظيفته[4].

أما الاتّجاه الثاني في المدرسة الانجليزية فتمثّله نظرية فيرث اللّغوية التي يميّز فيها فيرث في تحليله بشكل صارم بين البنية (وهي ما يعود إلى العلاقات الموجودة على

(1) - أحمد مومن، اللسانيات، النشأة والتطور،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، 2005، ص153.
(2) - كمال بشر، علم الأصوات، ص153.
(3) - كمال بشر، علم الأصوات، ص 175.
(4) - الطيب دبة، مبادئ اللسانيات البنيوية، ص135-136.

مستوى التراكيب) والنّظام (وهو ما يعود إلى العلاقات الموجودة على مستوى الاستبدال)، كما اهتم فيرث بشكل خاص بدراسة الظّواهر النّغمية في الدّرس الصوتي[1].

وقد كانت الفونولوجيا عند الإنجليز تطلق على الدّراسات التاريخية للأصوات، أمّا الفونتيك فكانت تشمل البحث الصوتي في عمومه من النّاحية الوصفية بدون تفريق بين جانبي الأصوات (المادي وغير المادي) ودون تمييز بين نظام الناحية العضوية الفيزيولوجية ونظام الناحية الوظيفية (الأصوات في التركيب). ولكن عندما شاعت فكرة التّفريق عدل الإنجليز عن نظرتهم الأولى وقالوا بالتفريق بين العلمين.

وعلى الرغم من أخذهم مبدأ الفصل هذا إلاّ أنّهم حرصوا على تأكيد قوة الاتّصال بين الفرعين واعتماد كلّ منهما على الآخر وينتهي الإنجليزي في هذا إلى نتيجتين.

1- لا يمكن الفصل بين الفونتيك والفونولوجيا، وكلاهما جزأ لا يتجزأ من علم اللغة، وليس من الخطأ تسميتهما معا باسم عام واحد هو "علم الأصوات" "phonetics" دون نعت مميّز لأيّ من الاتجاهين.

2- الفونولوجيا في حالة التفريق بينهما وبين الفونتيك لا تعدو أن تكون منهاجا لتنظيم مادة هذا الأخير أو تقعيدها، أو هو الفونتيك نفسه أصبح وظيفيا وعلميا، ويمكن تلخيص رأي فيرث في هذا الجانب برأي لأحد الباحثين بقوله "الفونتيك يجمع المادة الخام والفونولوجيا يطبخها أي يحيلها إلى شيء نافع ذي قيمة"[2].

وقد تطورت الدراسة الفونولوجية في السنوات الأخيرة وانقسمت إلى فرعين:

1- فونولوجيا الوحدات: ووظيفته البحث في الأصوات بوصفها أنماطا للأصوات classes أو units هي مادة التركيب الصوتي للغة المعينة وهذه الأنماط أو الوحدات هي مجموع الأصوات الصامتة consonants والحركات vowels وعرفت "بالفونيمات الأساسية" في مدارس أخرى (الأمريكية مثلا).

(1) - الطيب دبة، مبادئ اللسانيات البنوية، ص136.

(2) - كمال بشر، علم الأصوات، ص94-95.

2- فونولوجيا الظواهر التّطريزية (التّطريز الصّوتي) prosodic phonoligy: وتنظر في الظواهر التي تنسب إلى سلسلة المنطوق (السياق) مثل: الطول والقصر، والنبر، وبداية المقاطع، والفواصل الصوتية والتنغيم، وهي التي يطلق عليها الأمريكان الفونيمات الثانوية أو "فوق التركيبية".

وبذلك تمثل الفونولوجيا التطريزية استدعاء مفصلا لتحليل ينفتح على امكانيات الاستفادة من أكبر عدد من الظواهر التطريزية، بهدف تطوير التحليل الفونيمي ومحاولة إعطاء وضع تطريزي وظيفي جديد للملامح الصّوتية التي كانت وحدات فونيمية فقط[1].

يقول جي دي بوا Jean Du Bois:

On distingue habituellement deux grands domaines de la phonologie:

1.La phonématique : «Etudie les traits distinctifs minimales ou phonèmes, en nombre limité dons chaque langue, les distinctifs ou trais pertinents…».

Ces deux opération de la phonématique sont la segmentation et la commutation.

2.La Prosodie: «Etudie les trais suprasegmentaux, c'est a dire les éléments phoniques qui accompagnent la réalisation de deux ou plusieurs phonèmes et qui ont aussi une fonction distinctives :l'accent, le ton, l'intonation…».[2]

إن الباحث جين دي بوا "يستعمل مصطلح "الفونيماتيك" لدراسة الوحدات التمييزية الدّنيا أو الفونيمات محدودة العدد في كل اللغات؛ فهي فرع من الفونولوجيا يعمل على تجزئة السلسلة الكلامية إلى فونيمات؛ ثم يحدّدها ويقوم بتصنيفها، أمّا الفرع الثاني فيدرس المستوى فوق التركيبي ويصف الظواهر التطريزية أي العناصر التي ترافق العملية التمييزيّة كالنّبر والتّنغيم وغيرهما.

وتتحدّد خصوصية الفونولوجيا التّطريزية بالمقارنة مع ماتمّ التّركيز عليه في انشغالات "براغ" و"أمريكا الشمالية" (فيما بعد) الفونولوجيّة في الاهتمام الكبير الذي

(1) - كمال بشر، علم الأصوات العام، ص133-134.

(2)Jean Du Bois, dictionnaire de la linguistique, p375.

أولته مبادئ التّحليل التطريزي لكلّ مظاهر البنية الفونولوجية، اختلاف أوّلي كهذا تقرّه أشكال التّركيز الفونيمي لكلّ من "براغ"و"أمريكا الشمالية"على مظهر التّعارض الاستبدالي للفونولوجيا على حساب مظهرها المركبي أي العلاقات بين الوحدات الصغرى للبنية داخل الوحدات الكبرى[1].

6.2.المدرسة الأمريكية:

قبل ازدهار البنيوية في فرنسا عرفت أمريكا تّيّارا عرف باسم "علم اللغة البنيوي"، وقد شهد هذا التّيّار ازدهارا على يد عالمين أمريكيين كلاهما كان مهتما بعلم النفس، غير أنّ اهتمام إدوارد سابير Edward Sapir كان منصبا على المدرسة العقلية؛ بينما كان اهتمام بلوم فيلد Bloom Field يستقي من المدرسة السّلوكية[2]، بالإضافة زيلينغ هاريس.

1-احتل **سابير (1884-1939)** مكانة هامّة في اللّسانيات الأمريكية واستطاع أن ينتبه بشكل واضح لمفهوم الصّورة (الشكل) form، ولضرورته المنهجية في درس اللّغات وتحليلها، ويتجلى عمله بمبدأ الدراسة الصّورية للّغة في تصوّره أنّ اللّغات تعود في تكوينها وفي عملها إلى نظام من الوحدات (الرموز) المنتظمة في مجموعة من العلاقات والوظائف، ينظر إليها بصفتها أشكالا وبنّى مستقلة عن الظواهر الملموسة المتمثلة في المادّة الصّوتية للغة[3].

و يعد من أوائل اللّسانيين الّذين درسوا مفهوم الفونيم، ولقد أشار تروبسكوي إلى أنّ سابير قد توصّل إلى فكرة وجود الفونيم الذي أسماه في البداية "الصّوت النّموذجي" sound-patterns بشكل مستقل عن بودوان ودي كورتاي ومن أهم ما جاء به فيما يخصّه ما يأتي:

---

(1) - مصطفى بوعناني، أنساق الملامح الصوتية: مبادئ التصنيف الفونيمي ونماذج التنظير الفونولوجي، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في اللسانيات العربية شعبة اللغة العربية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، فاس، المملكة المغربية، 1996-1997، ص23.

(2) - عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر "مدخل إلى المناهج الحديث"، ط2، المركز الثقافي العربي، 1996، ص46.

(3) - الطيب دبّة، مبادئ اللسانيات، ص140-141.

1-تفريقه بين المستوى الصّوتي العام والمستوى الوظيفي (الفنولوجي)؛ فهو يعتقد بوجود نظام محدد داخلي ومثالي يوازي النّظام الصّوتي الموضوعي الخاص بلغة ما، لايمكن الوصول إليه إلا من خلال تحليل صوتيّ مضن، وقد خلص ضمن هذا التفريق التقابلي إلى أنّ الصوت اللّغوي تتحدّد قيمته في سمات ثلاث:

1- قيمة الصوت اللّغوي ليست في مادّته الفيزيائية إنّما تتجلى من حيث إنّه يندرج ضمن تنظيم فنولوجي خاص، ومن حيث إنّه ذو دلالة وظيفية ويسمّيه "النّظام الصّوتي الدّاخلي" (النّموذجي) والمغطّى بالنّظام الصّوتي الآلي، ويعتبره مبدأ مهمّا في حياة اللّغة فهو يتضمّن عدد الوحدات الصّوتية وعلاقاتها ووظائفها.يقول جين دي بوا في هذا:

Sapir (1884/1939) premier Américain à pénétrer théoriquement la charpente phonétique du langage, affirmait que : « Un son du langage n'est pas simplement une articulation ou une image acoustique, il constitue la matière d'une expression symbolique dans un contexte linguistique approprié, et il insistait particulièrement sur les écarts relationnels entre les sons du langage»[(1)].

2- اعتماده في دلالته على الجانب النّفسي الذي يرجع فيه إلى شعور المتكلّم ووعيه بما يقول، فهو يرى أنّ لدى المتكلمين إحساسا بفونيمات لغتهم يقوم على حدس فنولوجي قويّ؛ بحيث إن عالما صوتيا شديد التّدقيق في التفاصيل قد يتورّط في ركام وثائقه من أجل اكتشاف نظام فنولوجي ما، بينما تستمع الأذن الصحيحة والذوق الفطري اللغوي لملاحظ جاهل أن يحوز –بطريقة أفضل- على النظام الصوتي المثالي (يقابل النظام الفنولوجي عند البراغيين).

وكان يهدف من وراء هذا إلى مهاجمة مفاهيم النّحاة المحدثين التي هيمنت آنذاك على الدّراسة الصّوتية، ومفادها أن الأصوات والتّصورات الصّوتية ترتبط بأساس فنولوجي محض أو بأساس آليّ، وأنّ من الممكن تقديم وصف كامل لأصوات اللّغة بوساطة طرائق آليّة محضة.

(1) Roman Jokobson et Linda Wauch, la charpente du langage, traduit de Langlais par Alain Kihm, Les éditions de Menuit, 1979.p26.

3- تفريقه في الصّوت اللّغوي "الفونيم" يبيّن التنوّعات التركيبية والوحدات التمييزيّة، وبهذا يكون سابير أدرك الفرق بين السّمات المميّزة للفونيم، والتغيّرات الصوتية الآليّة التي هي مجرّد تنوّعات لفونيم واحد.

2-وفي الجانب الآخر من موقف سابير كان يقف **"بلوم فيلد"**؛ وإذا كان سابير قد تبنّى وجهة النّظر العقلية في علم النفس فإنّ بلومفيلد قد تبنّى وجهة النّظر السّلوكية، وقد نشر كتابه الرّئيس بعنوان "اللغة" سنة 1933م، وفي هذا الكتاب يتطرّق بلوم فيلد إلى نظريّته السّلوكية التي تعرف (بالمثير والاستجابة) أو (الفعل ورد الفعل). يقول جين دي بوا:

Ce qui, selon Bloomfield, est pertinent dans la langue c'est sa fonction de relation entre le stimulus du locuteur et la réaction de l'auditeur, et pour que cette fonction soit remplie, il faut et il suffit, au niveau phonique que chaque phonème soit différant de tout les autres[(1)].

ويركّز بلوم فليد- وهو رائد الدّراسات السّلوكية في اللّغة التي تتمحور حول الثنائية (مثير،استجابة) على التّفسير السّلوكي وجعله أساس التّحليل اللغوي، وعدم اعتباره للخصائص اللّغوية والصّوتية البحتة بخاصة. ويعتبر أنّ وظيفة العلاقة بين المثير المتكلم ورد فعل أو استجابة المستمع المتلقي والتي تتم بوساطة الفونيمات المختلفة هي الأساس.

وجعل للاعتبارات التوزيعية مكانة ضمن الإجراءات التحليلية الفونولوجية، وسيكون من الخطأ، مقابلة الفونولوجيا الأوربية التي تركز على الخصائص الفيزيولوجية والأكوستيكية بالفونولوجيا التوزيعية الأمريكية.

Tout a fait, les considérations distributionnelles vont entrer de façon tout à fait légitime dans l'héritage connu des procédure d'analyse de la phonologie, et il serait vain d'opposer la phonologie européenne, pragoise, a la phonologie américaine distributionnelle[(2)].

(1) Que sais je ? Jean Louis Duchet, la phonologie, p 23.
(2) Jean Louis Duchet, la phonologie, p31.32.

3- زيلينغ هاريس zelling-harris: وهو من أعلام المدرسة التوزيعية في اللسانيات الأمريكية، وقد كان علم اللغة التوزيعي عند هاريس بمثابة نظرية لغوية تتميز بالصلابة والتناسق، حاول خلالهما إكمال المذهب الوصفي عند [أستاذه] بلومفيلد وتصحيحه وتجاوزه ويظهر تأثره ببلوم فيلد حين يستعمل بشكل متناوب معيارين لكشف البنية الفونولوجية أو البنية النحوية للغة ما هذا المعياران هما: معيار المعنى، معيار التوزيع.

أما فيما يخص العلاقة بين الفونتيك والفنولوجيا من وجهة النّظر الأمريكية فقد مرت بعدّة مراحل حسب كمال بشر.

1- المرحلة الأولى: كان الأمريكيون في هذه المرحلة يطلقون مصطلح "فنولوجيا" على الدّراسة التاريخية للأصوات، مستخدمين "الفونتيك" في الدّراسة الصّوتية العامّة التي لم تعن بالتفريق الواضح بين جانبي الأصوات والتي كانت تنتظم عددا غير قليل من مسائل الفنولوجيا بالمعنى الحديث.

2- المرحلة الثانية: وتعنى بتخصيص منهجين لدراسة الأصوات:

-الفونتيك: أطلقوا هذا الاسم على الفرع الذي يعنى بالجانب المادي للأصوات.

الفونيم:أطلق على الفرع الذي ينظر في أنماط الأصوات ووحداتها من حيث دورها وقيمتها في اللغة (ولم يطلقوا مصطلح فنولوجيا لارتباطه بمفهوم قديم تاريخي).

لكن بلوم فيلد لم يرد الفصل بين هذه الطرق فصلا تاما خاصة الأولى والثالثة؛ فكثيرا ما كان يستعمل مصطلحPhonetics في بيانات تستدعي Phonology وما يؤكد هذا الارتباط الوثيق هو تناولهما جميعا تحت "علم اللغة"، وجعلهما جزءا منه.

المرحلة الثالثة : ويظهر فيها تشعّب في الدّراسات الصّوتية وبروز مفاهيم جديدة من ذلك استعمال مصطلح Phonemics (علم الوحدات الصوتية) بدلا من Phoneme (الوحدة الصوتية)، ومن مظاهر تقدّم هذه الدراسة وعمقها انقسامها إلى قسمين رئيسين:

1:قسم اختصّ بالنظر فيما سمّوه الوحدات أو الفونيمات التركيبية Segmental phonemes .

2:قسم اهتمّ بما سمّوه Suprasegmental Phonemes أي "الفونيمات غير التركيبية" أو "فوق التركيب"، ومثال النّوع الأول: الأصوات الصامتة والحركات بوصفها عناصر مكوّنة للتركيب الصّوتي للّغة، ومثال الثانية الظّواهر الصّوتية التي تنتمي إلى التركيب كلّه وتمتدّ خلاله كالنّبر والتّنغيم، وكان (النوعان السابقان) يسمّيان على التوالي الفونيمات الأساسية Primary phonemes والفونيمات الهامشية (الثانوية) Secondary or marginal phonemes وفي هذه المرحلة تطورت بحوث الصوتيات بفروعها المختلفة حتى صار كلّ فرع كأنّه علم مستقل بذاته.

إلى جانب ذلك ظهر في أمريكا منهج للبحث اللغوي يجمع الفنولوجيا أو الفونيمات بالصّرف عرف باسم علم الفونيمات الصّرفي morphophonology أو morphonology ووظيفة هذا الفرع الجديد النظر في التركيب الصوتي للوحدات الصرفية morphemes، فهو يحلّل ويصف ما يعرض لهذه المورفيمات من صور صوتية بحسب السّياق الذي تقع فيه[1].

7.2.مدرسة كوبنهاغن:

تأسّست هذه المدرسة 1931م وتمثّلت مبادئ هذه الحلقة بشكل خاص في أعمال الدانماركيين فيجو بروغدال (1887-1942م) ولويس هيلمسلف (1899-1965) وارتكزت إسهامات هذا الأخير على بعض النّظريات والمفاهيم التي جمعها في توجّه لساني مميّز سمّاه بالجلوسيمية وقد اعتمد في أعماله هذه بشكل خاص على دي سوسير.

يبرز اهتمام هيلمسلف بالتّحليل الوظيفي للوحدات ابتداء من دراساتها دراسة علائقية ونظامية تحافظ بشكل دقيق وصارم على مظهرها المادّي (الصّوتي والدّلالي) بل ينطلق من الصور أو الأشكال العلائقية بين الوحدات ساعيا إلى تطوير المفهوم السّوسوري الذي يحدد الوحدة بكونها تملك ما تختلف به عن بقية الوحدات، وذلك بمنح المزيد من التجريد في تحديد الوحدة اللسانية بيان عملها.

ويلاحظ على هلمسليف أنّه كانت له رغبة واضحة في التميّز عن البراغيين، فقد كان في كل مرّة يحاول أن يضع مصطلحات جديدة تكون في الغالب مقابلة لمصطلحات

(1) - ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، ص98 وما بعدها.

البراغيين، فإلى جانب مصطلح الجلوسيمية وضع مصطلح cénémes من الإغريقية kénos التي تعني فارغا) في مقابل كلمة phonème وplérémeه (من الإغريقية pléros التي تعني مليئة في مقابل كلمة monéme وphonématique في مقابل phonologie[1].

مدرسة الفنولوجيا التوليدية:

يقصد بالمدرسة التّوليدية generativism مجموعة النّظريات اللّسانية التي وضعها وطوّرها اللّساني الأمريكي نوام تشومسكي (المولود سنة 1928م)وأتباعه منذ أواخر الخمسينات وقد امتدّ تأثيرها ليشمل إضافة إلى حقل اللّسانيات مجالات أخرى كالفلسفة وعلم النفس، وتعتمد هذه المدرسة في مناهجها على استخدام ما يعرف بالقواعد التوليدية، وبلغ تأثيرها في النظريات النحوية حدا يمكن معه القول بأنّ النحو التوليدي هو النحو السائد في الدّراسات اللّسانية إبّان الأربعين سنة الأخيرة[2].

وقد وظّف التوليديون كلا من مصطلحي الفونتيك والفونولوجيا بمفهوم يتماشي مع النظرية العامة وجاء توظيفهم للمصطلح الأول "فونتيك" أعمّ وأوسع.

وهم يقرّون أن من الناحية النظرية أنه أي نظرية صوتية تتناول ثلاثة جوانب:

1- دراسة أية ضوضاء noise تصدر عن جهاز النطق عند الإنسان.

2- الاقتصار على دراسة تلك الأصوات التي لها وظائف وقيم لغوية linguistically significant في اللغات المختلفة.

3- الاقتصار على دراسة تلك الأصوات التي لها وظائف وقيم لغوية في لغة معينة particular language.

وهم في هذا يركزون على الجانب الثاني كونه يمثل هدف تشكيل علم أصوات عالمي فهو يخلصنا من دراسة الجانب الأول الذي ينتظم أصوات لا قيمة لها، بالإضافة إلى تغطية ما يحتاجه الجانب الثالث فدراسة لغة معينة يمكن أن تستمد حاجتها من الرصد العالمي.

(1) - كمال بشر، علم الأصوات العام، ص117.

(2) - محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ص82.

وتشكّل الفونولوجيا التوليدية natural générative phonology نظامين للأصوات:

- تمثيل فونولوجي صوتي نظامي systamic phontic repesentation.

- تمثيل فونولوجي نظامي systamic phonology representation.

وبهذا فالفنونولوجيا التوليدية تشغل نفسها بأمرين مقابلين للنظامين السابقين، تشغل نفسها أولا بتفسير العناصر أو الوحدات المشكلة للكلام formative éléments تفسيرا صوتيا وذلك بالنظر إلى البنية السطحية، كما تعنى ثانيا بوصف المقدرة الطبيعية compétence التي يمتلكها ابن اللغة ليفهم النظام الصوتي في لغته وليستخدمه استخداما صحيحا.

فالفونولوجيا التوليدية تربط البنية العميقة للأصوات بالبنية السطحية (المنطوق الفعلي) فيمكننا بذلك تشكيل نظام صوتي: يمثل المنطوق بالفعل وآخر فونولوجي يمثل المخزون العقلي القادر على توليد أصوات هذا المنطوق ما شكل باجتماعهما نظرية صوتية عالمية[1].

أما فيما يخص العلاقة بين الفونتيك والفنولوجيا فإن النظرية التوليدية تسلك مسلكا صوتيا يختلف عن النظريات الأخرى التي انشغلت بطبيعة هذه العلاقة كما يلي:

1- الفنولوجيا التوليدية تعتمد "الفونتيك" و"الفنولوجيا" جناحين متّصلين يشكّلان معا النّظرية الصّوتية، وهي بذلك تتّفق ظاهريا مع المدارس الأخرى التي تأخذ الجانبين في الحسبان عند أيّة دراسة صوتية.

2- على الرغم من هذا الاتفاق الظاهري فإن الفنولوجيا التوليدية تبدأ عملها من البنية العميقة إلى البنية السطحية، وهي تختلف عن المدارس الآخذة بالجمع بين الفرعين، فهذه المدارس تنطلق من البنية السطحية (أحداث نطقية فعلية) وتحاول تجريدها لاستخلاص الوحدات الصوتية ذات القيم اللغوية وهي التي تكون النظام الفنولوجي للغة معينة (بنية عميقة).

(1) - كما بشر، علم الأصوات، ص109-110.

3- الفنولوجيا التوليدية أريد بها أن تكون نظرية عالمية، لا يختص تطبيقها على لغة دون أخرى، في حين أن "الفنولوجيا" في مفهومها العام مقصور تطبيقها على اللغة المعينة، لأن لكل لغة نظامها الفنولوجي الخاص، وإن اتفقت اللغات أحيانا في بعض الأحداث المنطوقة الفعلية. "[1].

والفونتيك هو المستوى الذي يخصص لدراسة المادة الصوتية أما علم اللغة فيدرس الجانبين الآخرين فالفونتيك ليس جزءا من علم اللغة أما الفنولوجيا فهي مستوى خاص من البحث اللغوي هو في الموقع الوسط بين الفونتيك وعلم اللغة (رابط بينهما) فالفنولوجيا يقدم وسائل ربط المادة الصوتية بالبنية أو التركيب اللغوي، أي وضع أصوات اللغة في نظم وأنماط تستغل في بناء التركيب اللغوي وعناصره كذلك تنسب الفنولوجيا إلى كل من الفونتيك وعلم اللغة وتناقش مبادئهم من خلالهما معا[2].

وما يمكن الخلوص إليه أن هذه المدرسة قامت على أسس مخالفة للمدرسة البنوية بعامة، وبخاصة المدرسة التوزيعية، وكان الاختلاف الجوهري يتمثل في منهج الدراسة، حيث تبنت التوزيعية المنهج التصنيفي للغة، بينما تبنت المدرسة التوليدية المنهج التفسيري والتعليلي.

وإن لم يكن تشومسكي قد اعتنى في هذه المرحلة الأولى بدراسة القواعد الصرفية الفنولوجية فقد شارك هو وHalle بعد ذلك في وضع أسسها وأصبحت الفونولوجية التوليدية علما قائما بذاته بين علوم اللسان المتفرعة عن النحو التوليدي[3].

فأدركت هذه النظرية النضوج في كتاب تشومسكي الثاني "وجوه النظرية التركيبية" لسنة 1965، وغدت الأهداف أكثر طموحا، [تصب حول] تفسير كل العلاقات اللغوية القائمة، في اللغة بين نظام الأصوات ونظام الدلالات.

3.خاتمة:

(1) - عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2002م، ص281.

(2) - كمال بشر، علم الأصوات، ص 110 وما بعدها .

(3) - أهم المدارسة اللسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، 1986. محمد الشايب "المدرسة التوليدية التحويلية"، ص85/84.

بعد هذه الدراسة لمصطلحي الفونتيك والفنولوجيا يمكننا ملاحظة أسباب الفوضى الكبيرة الحاصلة من ترجمتهما إلى اللّغة العربية، والتي تعود بالأساس إلى اختلاف المصادر والأصول التي يأخذ منها علماؤنا العرب من أوربية وأمريكية وغيرها، ويكمن تحديد الاختلاف فيما ذهب إليه سوسير عن المدارس التي جاءت بعده في النقاط التالية:

1- الفونتيك عند سوسو دراسة تاريخية فقط، على حين يجوز أن تكون تاريخية وصفية لمدرسة براغ.

2- الفنولوجيا عنده تطابق الفونتيك عند أغلب الدارسين، حيث قصره على دراسة أصوات الكلام التي تكون الموضوع الأصلي للفونتيك عندهم.

3- الفونتيك عند سوسور جزء لا يتجزأ من علم اللغة، في حين الفونولوجيا لا يعدو نظاما ثانويا من البحث يقدم المساعدة والمعونة لهذا العلم، وهذا على العكس مما تراه المدرسة.

وعلى الرغم من انسياق المدرسة الانجليزية نحو التفريق بين الفوناتيك والفنولوجيا إلا أنهم لم يبالغوا مبالغة الأوربيين، إنما كان تفريقا نظريا فحين "يعمدون إلى تقديم خطة للبحث اللّغوي للدارسين والكشف عن مراحل هذه الخطة وتدرجها من مستوى إلى آخر وفقا لطبيعة المادة، يأخذون بترتيب هذه المراحل، فيبدؤون بالفوناتيك فالفنولوجيا فالصرف وهذا الترتيب لا يعني الفصل بين الفرعين بل إن فيرث ألح على قوة الاتصال بين الفرعين، فكلاهما يهتم بموضوع علم الأصوات وإن كان من زوايا مختلفة.

وتمثل الفونولوجيا التكوينية التوليدية تطورا وتجاوزا للفنولوجيا البنوية (الوصفية والوظيفية).

المراجع:

المراجع العربية:

- الطيب دبة، مبادئ اللسانيات النبوية، دراسة تحليلية استمولوجية، دط، المطبوعات الجامعية، الأغواط، 2004م.

- كمال بشر، علم الأصوات، دط، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2000 .
- محمد محمد يونس علي، ط1، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004 .
- عبد الرحمن حاج صالح، دط، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007، ج2 .
- أحمد مومن،دط، اللسانيات، النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر،2005.
- عبد الله إبراهيم وآخرون، ط2، معرفة الآخر "مدخل إلى المناهج الحديث"، المركز الثقافي العربي، 1996 .
- بوقرة نعمان، محاضرات في المدارس اللسانية، دط، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، 2006 .
- عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، ط1، صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2002م.
- رايس نور الدين، نظرية التواصل واللسانيات الحديثة، دط، مطبعة ياسين، فاس، 2007م.
- محمد الشايب وآخرون، أهم المدارسة اللسانية، دط، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، 1986.
- مصطفى بوعناني، أنساق الملامح الصوتية: مبادئ التصنيف الفونيمي ونماذج التنظير الفونولوجي، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في اللسانيات العربية شعبة اللغة العربية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، فاس، المملكة المغربية، 1996-1997.

المراجع الأجنبية :

- Ferdinand De Saussure, cours de linguistique générale, ENAG/ Edition, 1994, 2ème édition.
- Roman Jokobson et Linda Wauch, la charpente du langage, traduit de Langlais par Alain Kihm, Les éditions de Menuit, 1979.
- Jean Dubois et autres, dictionnaire de linguistique, librairie Larousse ،paris, 1973, 21eme édition.